

فَضَائِلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

لفَضِيلَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ رِسلان حفظه الله

التصنيف : شهر رمضان

تاريخ إلقاء هذه المحاضرة : الخميس 26 من رمضان 1427 هـ الموافق 19-10-2006م

مكان إلقاء هذه المحاضرة : بالمسجد الشرقي - سبك الأحد - أشمون - محافظة المنوفية - مصر

http://www.rslan.com/vad/items_details.php?id=991

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أَمَّا بَعْدُ :

ففي هذه العشر الأواخر المباركة ليلة القدر التي شرفها الله تبارك وتعالى على غيرها ومن على هذه الأمة بجزيل فضلها وخيرها وأشاد الله بفضلها في كتابه المبين فقال تعالى [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ] [الدخان : 3-8]

وصفها الله تبارك وتعالى بأنها مباركة لكثرة خيرها وبركتها وفضلها ، ومن بركتها أن هذا القرآن العظيم أنزله الله تبارك وتعالى فيها ووصفها سبحانه بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، يعني يُحْصَلُ من اللوح المحفوظ إلى الكتبة ما هو كائن من أمر الله سبحانه في تلك السنة من الأرزاق والأجال والخير والشر وغير ذلك من كل أمر حكيم من أوامر الله المحكمة التي ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفه ولا باطل ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وقال ربنا جلَّت قدرته [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ] [القدر : 1-5]

الْقَدْرُ بمعنى الشرف والتعظيم أو بمعنى التقدير والإمضاء والقضاء لأن ليلة القدر شريفة عظيمة يُقَدَّرُ الله فيها ما يكون في السنة وما يقضيه الله تبارك وتعالى من أموره الحكيمة .

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ: يعني في الفضل وفي الشرف وفي كثرة الثواب والأجر ، ولذلك كان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه .

تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ : وهم عباد من عباد الله تبارك وتعالى قائلون ليلاً ونهاراً لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون يتنزلون في ليلة القدر إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة ، والروح جبريل عليه السلام خصه الله تبارك وتعالى بالذكر لشرفه وفضله .

تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ : يعني أن ليلة القدر ليلة سلام للمؤمنين من كل مَخُوفٍ لكثرة من يعتق فيها من النار ويسلم من عذابها .

حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ : يعني أن ليلة القدر تنتهي بطلوع الفجر لإنهاء عمل الليل به .

وفي هذه السورة الكريمة فضائل متعددة ليلية القدر :

الفضيلة الأولى : أن الله تبارك وتعالى أنزل فيها القرآن الذي به هداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة ؛

والفضيلة الثانية ما يدل عليه الاستفهام من التفضيم والتعظيم في قوله تعالى [وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ] ؛

والفضيلة الثالثة أنها خير من ألف شهر ، **والفضيلة الرابعة** أن الملائكة تنزل فيها وهم لا ينزلون إلا بالخير

والبركة والرحمة ، **والفضيلة الخامسة** أنها سلام لكثرة السلام فيها والسلامة من العذاب بأنحائها بما يقوم به

العبد من طاعة الله عز وجل ؛ **والفضيلة السادسة** أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة .

من فضائل ليلة القدر ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال

« مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » وهذا حديث متفق على صحته فقله إيماناً

واحْتِسَابًا ، يعني إيماناً بالله وبما أعد الله تبارك وتعالى من الثواب للقائمين فيها واحتساباً للأجر وطلباً للثواب

وهذا حاصل لمن علم بها ومن لم يعلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترط العلم بها في حصول على هذا

الأجر ، فسواء علم الإنسان وهو يقوم الليل في ليلة القدر أنه يقوم ليلة القدر أم لم يعلم فإنه يتحصل على الأجر

كما بيّن ذلك الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ لم يشترط العلم بها في الحصول على هذا الأجر وتلك

المثوبة .

ليلة القدر في رمضان لأن الله تعالى أنزل القرآن فيها وقد أخبر الله تبارك وتعالى أنه أنزل القرآن في شهر

رمضان وقال تعالى [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] وقال سبحانه [شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ] [البقرة : 185]

وبهذا تعيّن أنها تكون في رمضان أي ليلة القدر تكون في شهر رمضان .

موجودة في الأمم قبل أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي هذه الأمة إلى يوم القيامة لما ورد عن أبي

ذر رضي الله عنه أنه قال « يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَهِيَ فِي رَمَضَانَ أَمْ فِي غَيْرِهِ ، فَقَالَ بَلْ هِيَ

فِي رَمَضَانَ قَالَ تَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ أُمُّ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

آلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد والنسائي ، لكن فضلها وأجرها يختص

والله أعلم بهذه الأمة المرحومة أمة محمد صلى الله عليه وسلم . كما اختصت هذه الأمة بفضيلة يوم الجمعة

وغيرها من الفضائل والله الحمد أن جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ » وهذا متفق عليه ، وهي في الأوتار أقرب من الأشفاح لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ » رواه البخاري ؛ وهي في السبع الأواخر أقرب لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في السبع الأواخر فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَّاتُ ، يَعْنِي اتَّفَقَتْ ، فِي السَّبْعِ الْآخِرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْآخِرِ » أخرجه البخاري .

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اِلْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ » ، يعني ليلة القدر ، فَإِذَا ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يُغْلِبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي « رواه مسلم ، وأقرب أوتار السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا ، يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ » رواه مسلم .

ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلاً ، وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين تبعاً لمشيئة الله وحكمته ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « اِلْتَمِسُوهَا فِي تَاسِعَةِ تَبَقَى ، فِي سَابِعَةِ تَبَقَى ، فِي خَامِسَةِ تَبَقَى » رواه مسلم ، قال الحافظ في الفتح رحمه الله : الراجح أنها في وترٍ من العشر الأواخر وأنها تنتقل ، يعني ليست ثابتة في ليلة بعينها تكرر في كل عام في ذات الليلة وإنما هي تنتقل على مدار الأعوام بمشيئة الرب سبحانه وتعالى .

أخفى الله سبحانه وتعالى علم ليلة القدر على العباد رحمة بهم ليكثر عملهم في طلبها في تلك الليالي القابلة للصلاة والذكر والدعاء فيزداد قرباً من الله وثواباً . أخفاها الله تبارك وتعالى اختباراً لهم أيضاً ليتبين من كان جاداً في طلبها حريصاً عليها ممن كان كسلاناً متهاوناً ، فإن من حرص على شيء جد في طلبه وهان عليه التعب في سبيل الوصول إليه والظفر به وربما يظهر الله علمها لبعض العباد بآمارات وعلامات يراها كما رأى النبي صلى الله عليه وسلم علامتها أنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين ، فنزل المطر في تلك الليلة فسجد في صلاة الصبح في ماء وطين صلى الله عليه وسلم على آله وسلم .

ليلة القدر يُفتح فيها الباب ويُقرب فيها الأحباب ويُسمع فيها الخطاب ويُردُّ فيها الجواب ويكتب فيها للعاملين عظيم الأجر ، ليلة القدر خير من ألف شهر فاجتهدوا رحمكم الله في طلبها فهذا أوان الطلب واحذروا من الغفلة ففي الغفلة العطب .

قال صلى الله عليه وسلم في فضل قيام ليلة القدر « مَنْ قَامَهَا إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » متفق عليه ؛ وقال في وقتها صلى الله عليه وسلم « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ » أي في الليالي الفردية وهي : ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين ، وقيامها إنما هو إحياءها بالتهجد فيها والصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء والاستغفار والتوبة إلى الله تعالى ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت « قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ ، مَا أَقُولُ فِيهَا ، قَالَ قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي » رواه الترمذي وقال حديث حسن

صحيح ورواه الإمام أحمد وابن ماجة وهو حديث صحيح ، ويستفاد من هذه الصورة التي ذكر الله تبارك وتعالى فيها ليلة القدر ، يستفاد من ذلك فضل القرآن العظيم وعلو قدره وأنه أنزله ليلة القدر سبحانه ، ويستفاد من ذلك فضل ليلة القدر وعظمتها وأنها تعدل ألف شهر خالية منها ويستفاد منها الحث على اغتنام مواسم الخير في هذه الليلة الشريفة بالأعمال الصالحات والقربات التي يتقرب بها العباد إلى رب الأرض والسموات . فإذا علمنا فضائل هذه الليلة العظيمة وعلمنا أنها محصورة في العشر الأواخر من رمضان فعلينا بالجد والاجتهاد في كل ليلة منها بالصلاة والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار والابتهال لرب الأرض والسموات العلى لعلنا أن نوافقها فنسعد سعادة لا نشقى بعدها أبداً ، وعلينا أن ندعو فيها بالدعاء الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم عائشة إياه وبالأدعية الجامعة لخير الدنيا والآخرة ومنها :

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر

اللهم اعتق رقابنا من النار وأوسع لنا من الرزق الحلال واصرف عنا فسقة الإنس والجن يا حي يا قيوم

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره وباطنه وأوله وآخره وعلانيته وسره

اللهم ارحم في الدنيا غربتنا وارحم في القبر وحشتنا وارحم في الآخرة وقوفنا بين يديك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى

اللهم إنا نسألك عفو تحب العفو فاعف عنا ، اللهم إنا نسألك عفو تحب العفو فاعف عنا

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا اله إلا أنت ،

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله أجمعين .

فعلى العبد أن يدعو الله تبارك وتعالى بذلك الدعاء الذي علمه عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها وبذلك

الأدعية الجامعة التي مرّ طرف منها وأن يلتفت الإنسان إلى أمر مهم وهو ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله :

ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان وتكون في الوتر منها ، لكن الوتر يكون باعتبار الماضي فتطلب

حينئذ ليلة القدر ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع

وعشرين ، باعتبار ما مضى الوتر باعتبار ما مضى ؛ ويكون الوتر باعتبار ما بقي كما قال النبي صلى الله

عليه وعلى آله وسلم « **لِسَابِعَةِ تَبْقَى لِخَامِسَةِ تَبْقَى لِثَلَاثَةِ تَبْقَى** » ، فعلى هذا إذا كان الشهر ثلاثين يكون ذلك ليالي الأشفاق فتكون الاثني وعشرين تاسعة تبقى وتكون ليلة أربع وعشرين سابعة تبقى وهكذا ، وبهذا فسر الحديث أبو سعيد الخدري رحمه الله كما في صحيح مسلم رحمه الله وهكذا أقام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الشهر وإن كان الشهر تسع وعشرين كان التاريخ بالباقي التاريخ بالماضي وإذا كان الأمر هكذا فينبغي أن يتحراها المؤمن في العشر الأواخر جميعه كما قال صلى الله عليه وسلم « **تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ** » وتكون في السبع الأواخر أكثر وأكثر ما تكون ليلة سبع وعشرين كما كان أبي بن كعب رضي الله عنه يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين رضي الله عنه وأرضاه .

وهذا الملحظ الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله يدل على أن ليلة القدر في العشر الأواخر بلا تحديد بقطع وأنها يمكن أن تكون في الأوتار باعتبار ما مضى فتكون ليلة إحدى وعشرين إلى آخره ، أو تكون في الأوتار على اعتبار ما بقي فتكون ليلة اثني وعشرين إلى آخره فتكون في الأوتار وفي الأشفاق في العشر الأواخر على السواء وعلى هذا دل حديث سيد الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ما معنى ليلة القدر ؟

يرى بعض العلماء أن معنى ليلة القدر ، أن القدر الذي أضيفت إليه الليلة هو التعظيم كقوله تعالى [**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**] [الأنعام : 91 ، الزمر : 67] ، فهي ذات قَدْرٍ وتعظيم لما نزل فيها من القرآن الكريم ونزل به ملك ذو قَدْرٍ بكتاب ذي قَدْرٍ على نبي ذي قَدْرٍ في أمة ذات قَدْرٍ ، فهي ليلة عظيمة الشرف ، أو أن العظمة والقَدْرَ لِمَا يحدث فيها من نزول الملائكة وأيضا لما ينزل في هذه الليلة من رحمة الله تعالى وبركاته وغفرانه وفيوضاته أي أن الذي يحييها يصبح ذا قَدْرٍ وشرف ومنزلة كريمة في الدنيا وفي الآخرة .

وقال بعض أهل العلم : القدر هنا التضييق كقوله تعالى [**وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**] [الطلاق : 7] والمراد بالتضييق إخفاء ليلة القدر وعدم تعيينها أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة أو أن القدر فيها بمعنى القَدْرَ أي أنه يُقَدَّرُ فيها أحكام تلك السنة وما يقضي الله به على عباده وذلك لقول الله تعالى فيها [**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**] [الدخان : 4] .

ولقيام ليلة القدر فضل وافر لأن الله تعالى ما دام قد جعلها خير من ألف شهر وليس في شيء من تلك الأشهر الألف ليلة القدر فهذا يفيد أن العبادة فيها تكون أعظم شأنًا منها في غيرها . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم « **مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » لا يفيد الإطلاق ، يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم « **كُلُّ عَمَلٍ بَنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ** » وأما احتسابا أي طلبا لوجه الله تبارك وتعالى ولثوابه وطلبًا للأجر عنده لا لشيء آخر من رياء أو سمعة أو نفاق أو نحو ذلك ، وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » لا يفيد الإطلاق ، يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم « **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » هذا مطلق كما ترى

فيشمل الصغائر والكبائر ، ولكن المعروف أن ذلك إنما يختص بالصغائر وحدها وأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة النصوح بشروطها وهي : الندم على ما فات والعزم على عدم العودة إلى تلك الذنوب والإقلاع عن الذنب على سبيل الفور ورد الحقوق إلى أصحابها وأن تكون التوبة خالصة لله رب العالمين لا لشيء آخر وأن تقع التوبة في الزمان الذي يقبل الله تبارك وتعالى فيه المتاب ، والزمان الذي يقبل الله رب العالمين فيه التوبة عام وخاص ، فعامٌ حتى تطلع الشمس من مغربها وخاص حتى تبلغ الروح الحلقوم كما أخبر بذلك ربنا جل وعلا في كتابه العظيم وأخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم في حديثه الكريم .

وفي بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم جزاء الصائم بغفران الله له ما تقدم من ذنبه قيد هذا الجزاء بأن الصيام يكون إيماناً واحتساباً لينفي عن ساحة الصيام الرياء وحب الظهور وغير ذلك من الدواعي التي تقلل ثواب العبادة بل أحياناً تحبط العبادة رأساً ، وليكون الصائم مخلصاً في عبادته وصادقاً فيها ومقبلاً بها على الله تبارك وتعالى قاصداً بذلك وجه الله الكريم وحده لا شريك له كما قال ربنا جلّت قدرته [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] [الكهف : 110] ، وهذا الجزاء أيضاً وهو غفران الذنوب يكون لمن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً كذلك ويكون قيام ليلة القدر بأداء صلاة القيام فيها وهي صلاة التراويح وبقراءة القرآن والتهجد والذكر والدعاء ، ولَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ غَيْرَ مُحَدَّدَةٍ وَلَا مُعَيَّنَةٍ بَلْ هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ وفي الوتر في العشر الأواخر فيتناول الغفران الذنوب الصغيرة كما قال النووي رحمه الله المعروف أنه يختص بالصغائر وبه جزم إمام الحرمين ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة . وعليه ينبغي على الإنسان أن يجتهد في التخلي عن الكبائر وأن يرد المظالم وأن لا يقبل على الله تبارك وتعالى بقيام ليلة وهو يحسب أنه بقيام تلك الليلة قد خرج من كل عهدة وأنه لم تبقى عنده مظلمة لأخيه فإن ذلك من العبث العاثر الذي ينتزه عنه دين الإسلام بحكمة الله تبارك وتعالى فيه لأن الله رب العالمين أحقّ الحق وأقام العدل وينصب الله تبارك وتعالى الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، فعلى الإنسان أن يتخلى عن الذنوب وأن يردّ المظالم إلى أصحابها وأن يندم وأن يعزم على أن لا يعود إلى ذلك الذنب وأولى الأشياء في تلك الليلة أن يرد الإنسان المظالم إلى أصحابها .

عقد الإمام النسائي باباً وذكر فيه الحديث وفيه « مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » فزيادة وما تأخر ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، يعني ما مر من ذنوب واقعات وما تأخر ، يعني مما لم يأت بعد ، فكيف تغفر الذنوب المتأخرة التي لم تفعل بعد ؟

الجواب على هذا كما ورد في شأن آل بدر « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » ولكن محصل الجواب أنه يقال إن ذلك إنما هو كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع منهم في مقبل أيامهم ، وقيل معناه إن ذنوبهم تقع مغفورة لهم ولكن الأقرب أن الله تبارك وتعالى يرحمهم ويعصمهم من مواقع الكبائر إذا ما كتب الله تبارك وتعالى لهم القبول في تلك الليلة لأنه يستسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر نسخة تكون إلى العام فيها يفرق كل أمر حكيم ، ما يكون من حياة وموت وما يكون من رفعة و.. وما يكون من عطاء وحرمان وما يكون من حج وعمرة وما يكون من تلك الشؤون إلى قابل يعني إلى ليلة القدر في العام القابل حتى الحاج كما ذكر ذلك بن

عباس وطائفة من السلف يكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم يختم على ذلك فلا يزداد فيه ولا ينقص منه .
فليس الأمر موكولا إلى تلك القرعة التي تكون في حياتنا الدنيا وإنما الأمر مقضي هنالك بفضل الله تبارك وتعالى وبرحمته فعلى العبد أن يعرض نفسه لرحمات الله وفيوضاته .

هل يحصل الثواب المترتب على ليلة القدر لمن أقامها أو يتوقف ذلك على كشفها له ؟ لأن عائشة رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم « **أَرَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ** » إذاً ، فالإنسان يمكن أن يريه الله علامة وأن يريه الله تبارك وتعالى آية ويكشف الله تبارك وتعالى له من تلك الآيات ما يعرف به أنه يزاول ويعالج ليلة القدر . لا على تلك العلامات التي تظهر في صبيحتها فإن ذلك يكون بعد انقضائها والناس فيه متساوون ، وأما عائشة رضوان الله عليها فتسأل عن أمر خاص « **أَرَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ عَلِمْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ** » إن علمتها وأنا فيها ماذا أقول وأنا أعالجها وأزاولها وأحيها ، فقال صلى الله عليه وسلم « **قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي** » ، فإذا يمكن للإنسان أن يريه الله تبارك وتعالى علامة وأن يطلعه على آية فيعرف أنه يعالج ويزاول ليلة القدر وحينئذ يتأتى منه هذا الدعاء الذي اختاره الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعائشة رضوان الله عليها .

هل يتوقف حصول الثواب على معرفة ليلة القدر أم أن الذي يقوم ليلة القدر بقدر الله رب العالمين وهو لا يعلمها فيوافقها بقدر الله تعالى له الأجر الذي وصفه الله تعالى ووصفه نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
جماعة من العلماء منهم الطبري وغيره يقولون : إن الثواب المترتب على ليلة القدر يحصل لمن اتفق له قيامها بالعبادة وإن لم يظهر له شيء ولا يتوقف الفضل الحاصل له على كشفها أو ظهور شيء من العلامات لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشترط ذلك ولا اشترطه ربنا تبارك وتعالى في القرآن العظيم . فعلى الإنسان أن يجتهد في قيام الليلة وأن يكون راجيا ثواب الله تبارك وتعالى راجيا عذاب الله تبارك وتعالى مقبلا على جناب الله تبارك وتعالى مخبتا منيبا لله رب العالمين وعليه أن ينشر ذات نفسه بين يدي ربه تبارك وتعالى في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، لعل الله تبارك وتعالى أن يرحم الضعف وأن يزيل الكرب وأن يكشف لهم وأن يرفع الغمة برحمته وهو أرحم الراحمين ، لعل الله تبارك وتعالى يلم الشعث في النفس ولعل الله تبارك وتعالى يرمم ما وهى من ذلك الذي لم يصلح في القلب ، ولعل الله تبارك وتعالى أن يزيل ما بالنفس من الإحن والمحن والكرب والغصص والحقد والغل والآثام التي تجبرت في القلوب في الأرواح ، لعل الله تبارك وتعالى أن ينظر نظرة رحمة في تلك الليلة فإذا ما نظر الله رب العالمين إلينا نظرة رحمة لم يعاقبنا ولم يعذبنا من بعدها أبدا .

ما الذي صنع الخصام في ليلة القدر ؟

حدث أن تخاصم رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فكان سبب خصومتها سببا لرفع معرفة ليلة القدر تعيينا قاطعا ، فكيف كان ؟

عن عبادة بن الصامت فيما أخرجه البخاري في صحيحه قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « **خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَنَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ**

يَكُونُ خَيْرًا لَكُمْ فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ .» خرج النبي صلى الله عليه وسلم لكي يخبرهم بتحديداتها قطعا ، قطعا لا يختلف بحيث تعلم أنت عينها علما يقينيا بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتلاحي رجلان يعني أخذ كل منهما بلحية أخيه يجره إليه وهي كناية عن التخاصم والمماراة والمجادلة ، لأنهم كانوا يفعلون ذلك بأن يأخذ الواحد منهم بلحية أخيه إذا ما خاصمه وشاقه وحاده فصارت الكناية على هذا النحو فاحتق فلان وفلان معهما الشيطان كما في لفظ آخر في الصحيح وحينئذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « **خَرَجْتُ لَأُخْبِرَكُمْ بَلَيَّةِ الْقَدْرِ فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ** » .

ليلة القدر لم يرفع شأنها بعينها يعني لم ترفع ليلة القدر عينا بحيث لا يبقى في الأمة ما يقال له ليلة القدر وإنما رفع تحديد معرفتها بدليل قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « **الْتَمِسُوهَا فَالْتَمِسُوهَا** » فإنه بعد أن أخبر صلى الله عليه وسلم بأنها قد رفعت أمر بالتماسها ولو كانت قد رفعت بعينها ما طلب التماسها لأن ذلك يكون كالعبث الذي يتنزه عنه كلام نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وينبه النبي صلى الله عليه وسلم أن رفعها عسى أن يكون خيرا ، فيريد بذلك أن إخفاءها يستدعي قيام الشهر كله ، أو أن يقوم المسلم الراجي عفو الله تبارك وتعالى العشر الأواخر كلها بخلاف ما لو تحدد وقتها فإن الناس كانوا يتواسلون حينئذ ويفترون بمعنى أنهم يقومون الليلة التي حددها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأمر الله تبارك وتعالى ثم ينامون ربما بقية الشهر لا يقومون . ولكن لما أخفى الله تبارك وتعالى ليلة القدر في الأوتار في العشر الأواخر من رمضان كان ذلك حضا وحثا وترغيبا على طلبها في العشر الأواخر بجملتها في الأشفاق والأوتار باعتبار الوتر في ما مضى واعتبار الوتر في ما بقي وذلك بالجد الذي يحبه الله تبارك وتعالى من العبد ، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إذا دخل العشر جدَّ وشدَّ المنزر صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأيقظ أهله فكان يعتزل النساء لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان والاعتكاف لا يكون فيه مباشرة للنساء .

فهذا الخصام كما ترى أدى إلى رفع هذا الخير العظيم فينبغي على الأمة إذا كان ذلك كذلك أن ترفع الخصومات وواجب على المسلمين أن يكونوا متحابين متآلفين يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، من كانت بينه وبين أخيه المسلم خصومة فليبادر بالصلح ومن كانت بينه وبين أحد أرحامه قطيعة فعليه أن يقوم بصلته رحمه وأن لا يترك الناس للخصومات الأمر تأكل العلاقات وتجمل وشائج المودة والألفة فيما بين المسلمين فإن الخير يرتفع من الأرض بسبب الخصومات والخلافات ، وإن الخير والبركة ينتشران في الأرض حين يتراحم العباد ويتآلفون ، فالراحمون يرحمهم الرحمن كما أخبر النبي العدنان صلى الله عليه وسلم .

ليلة القدر لها ميقات حدده النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يحدده النبي صلى الله عليه وسلم تحديدا عينيا قاطعا ، لأن ذلك رُفِعَ علمه لما تلاحي فلان وفلان ، ولكن حدد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم العشر الأواخر من رمضان وحدد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأوتار منها ثم بيّن أن الأرجى من ذلك جميعه أن تكون في السبع الأواخر من شهر رمضان كما صحت بذلك الأحاديث عن النبي الهمام صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فينبغي على الإنسان أن يجتهد في طلب ليلة القدر وأن لا يفشل فإن ليلة واحدة يجتهد الإنسان فيها مصفيا لقلبه وعلائقه منقيا لضميره وفؤاده مقبلا فيها على ربه تبارك وتعالى ولو وقفها من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر يتحصل على أجر يزيد على ألف شهر بقيام لياليها وصيام أيامها من غير أن يكون في تلك الأشهر ليلة القدر ، إذا كان ذلك فهذا فضل عظيم وأجر جزيل لا يعطيه إلا أكرم الأكرمين رب العالمين أرحم الراحمين .

فإن من المجانة وإن من قلة العقل أن يضيع الإنسان من أجل هذا الوقت القليل أن يضيع الإنسان هذا الفضل الكبير والأجر العظيم وغفران الذنوب التي تقبل الغفران في سنة مضت وكما في رواية النسائي فيما يتأتى وما يتأخر أن يضيع الإنسان ذلك من أجل أن يغنم لحظات من اللذة في تلك الليلة بغمض عين أو بسمَر فارغ أو برؤية ومشاهدة لما حرم الله رب العالمين النظر إليه أو بغيبة ونميمة أو بمؤامرات تحاك في كهوف الظلمة التي هي معقودة لأهل الحقد والغل والضغينة إلى غير ذلك من تلك الأشياء التي يضيع الإنسان بسببها ويفوت هذا الأجر العظيم ولكن يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إن الأمر فوق ذلك جميعه ، كيف ؟ يقول صلى الله عليه وسلم « مَنْ حَرَّمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حَرَّمَ » .

إذا نسأل الله تبارك وتعالى أن يعطينا وأن لا يحرمننا ، فاللهم أعطنا ولا تحرمنا اللهم أعطنا ولا تحرمنا اللهم أعطنا ولا تحرمنا يا رب العالمين .

فليلة القدر لها ميقات حدده النبي صلى الله عليه وسلم هكذا شائعا في الأوتار من العشر الأواخر والأرجى أن تكون في السبع الأواخر من شهر رمضان .

وأما الأمارات والعلامات فإن معظم تلك الأمارات والعلامات إنما يكون بعد مضي ليلة القدر ، يعني تستطيع أن تعرف بتلك العلامات ليلة القدر بعد أن يكون الأوان قد فات وأما أن يكون ذلك في أثناء الليلة فذلك لا يُطْلَعُ الله تبارك وتعالى عليه إلا أهل الفضل ممن اختصهم بعلم ليلة القدر ولهم حال مع الله تبارك وتعالى يأتي ذكره إن شاء الله تبارك وتعالى .

من العلامات : طلوع الشمس على صفة معينة صبيحة ليلة القدر وهي أنها تطلع لا شعاع لها لما ورد عن زر بن حبیش رضي الله عنه قال سمعت - أبي بن كعب رضي الله عنه - (**والصحيح عند مسلم رحمه الله هو قول ابن مسعود رضي الله عنه**) يقول « **مَنْ قَامَ السَّنَةَ أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ** » ، فقال أبي « **وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ** » يحلف لا يستثنى ، زر بن حبیش يقول أنه سمع أبي بن كعب من يقول إن من أقام السنة أصاب ليلة القدر فهي في عموم السنة ، وهذا الذي ورد عن بعض الأصحاب رضوان الله عليهم وهو عبد الله بن مسعود هو يعلم أنها في الأوتار من العشر الأواخر ولكنه عندما يقول : من قام السنة أصاب ليلة القدر ، وهو يعلم أن الناس يعلمون جزيل فضلها وعظيم أجرها كأنما يرغب الناس في قيام العام لأن الهمم عندما تتدنى تتدنى بتدني الهمم النفوس ، وحينئذ يصير الإنسان ملصقا بالأرض لاصقا بالأرض لا يستطيع أن يقوى على أن يسمو سموا يرتفع به إلى آفاق النور ولا أن تُشْرِقَ في جنبات نفسه من تلك الأنوار برحمات الله رب العالمين ما تتبدد به ظلمات النفس وتتقشع ، فهذه الهمم التي هي مخدولة بخذلان الله تبارك وتعالى هذه الهمم التي وكل

الله رب العالمين فيها الناس إلى أنفسهم فأصابهم الخذلان ؛ لأن العارفين قد أجمعوا على أن التوفيق أن لا يكلك الله رب العالمين إلى نفسك وأن الخذلان أن يكلك الله رب العالمين إلى نفسك . فيقول « مَنْ أَقَامَ السَّنَةَ كُلَّهَا أَصَابَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ » فقال أبي : « وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ يَحْلِفُ مَا يَسْتَنْتَنِي ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ ، هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِقِيَامِهَا هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةٍ يَوْمَهَا بَيَضَاءٌ لَا شُعَاعَ لَهَا » هذا رواه مسلم .

وروى بن خزيمة من حديث بن عباس مرفوعا « لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ سَمَحَةٌ طَلِقَةٌ لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَتَهَا حُمْرَاءَ ضَعِيفَةٍ » وهذا حديث حسن ، ولأحمد من حديث عبادة « لَا حَرَّ فِيهَا وَلَا بَرْدٌ وَأَنَّهَا سَاكِنَةٌ صَاحِبَةٌ وَقَمَرُهَا سَاطِعٌ » ؛ وهذه العلامات الكثيرة تكون أثناء الليل لا حرَّ فيها ولا برد وهذا يكون في أثناء الليل ، هذه الأمارات هي التي جاءت بها سنة سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم .

وليست ليلة القدر كما يزعم الجهلة كوكبا يضيء أو جائزة مادية يتلقفها صاحب الحظ أو تأتي بها بغلة العرش كما يقولون وإنما ليلة القدر هي ليلة مباركة ذات مكانة جليلة ، أرجى الليالي عند الجمهور أنها ليلة السابع والعشرين ولكن الصواب أن ليلة القدر بفضل الله تبارك وتعالى إنما هي في العشر الأواخر من رمضان وأنها في الأوتار أرجى منها في الأشفاع على اعتبار الأشفاع أوتارا والأوتار أشفاعا على حسب ما مضى وما بقي وأيضا هي في السبع الأواخر أرجى منها في العشر ، يعني السبع الأواخر التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحري ليلة القدر فيها وأن لا يغلب المرء عليها إذا ما ضَعُف .

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يُري الأَصْحَابَ أحيانا بعض العلامات ، مثل ما كان من أنه يسجد صبيحتها في ماء وطين وليس في السماء من سحب فأرسل الله رب العالمين السحاب ثم توقف مطرا فأصاب أرض مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فسجد صبيحتها في ماء وطين صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وأيضا لما تذاكروا ليلة القدر عنده صلى الله عليه وسلم قال « **أَيْكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ** » ولا يكون ذلك إلا في أواخر الشهر كما هو معلوم ؛ فإذا ينبغي علينا أن نجتهد وينبغي علينا أن ننظر في آخرتنا وأن ننظر في مآلنا وأن ننظر أيضا في أحوالنا وعلينا أن نعلم أن الله تبارك وتعالى يتجلى برحمات عظيمة في ليلة القدر فإن المحروم من حرم تلك الليلة نسأل الله تبارك وتعالى أن يبلغنا ليلة القدر وأن يتقبل منا برحمته وهو أرحم الراحمين .

خلق الله رب العالمين سبع سماوات وخلق سبع أراضين وسبعة أيام والدهر يدور في سبع والإنسان خلق من سبع ويأكل من سبع وسجد على سبع والطواف والجمار وأشياء ذكرها ابن عباس يستدل بذلك على أنها سابعة تمضي أو سابعة تبقى من العشر الأواخر وهذا تقول فيه هذا من **مُلِحِ الْعِلْمِ لَا مِنْ صُلْبِ الْعِلْمِ** . وأهم ما ينبغي التنبه إليه أنها ذات قدر وشرف وعلى المسلم أن ينتهز بالعبادة وأن لا يحرم نفسه فيها من الدعاء وأن يكثر من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة « **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي** » ،

نسأل الله تبارك وتعالى أن ييسر لنا هذا الأمر وأن يبارك لنا في هذا الشهر وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، إنه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

تمت المراجعة في رمضان 1433 هـ
أخوكم أبو عبد الله عبد الحافظ الجزائري

موقع فضيلة الشيخ محمد سعيد رسلان حفظه الله